

إضاءات نقدية (مقالة محكمة)

السنة الثانية عشرة - العدد الثامن والأربعون - شتاء ١٤٠١هـ / كانون الأول ٢٠٢٢م

20.1001.1.22516573.2022.12.48.6.4

ص ١٦٢ - ١٣٧

نظرية التسلط وهوية الأنثى الثقافية الاجتماعية في الأمثال

العامة المصرية؛ موسوعة شعلان نموذجاً

إحياء كمامسى (الكاتبة المسؤولة)*

أمير مسگر**

عذرا صابري***

الملخص

اللغة والمرأة وتأثير الثقافة والمجتمع في إنتاج سلوكها اللغوي موضوع قد شغل بال الباحثين منذ سنوات طويلة. نظرية التسلط من أهم النظريات التي درست اختلافات المكانة الاجتماعية بين الرجل والمرأة وكيفية انعكاسها على السلوك اللغوي المختص بهما. تعد الأمثال أبرز عناصر لغوية تبين الحياة الشعبية فمن الممكن تسليط الضوء عليها لدراسة لغة المرأة وإدراك هويتها الثقافية والاجتماعية. الجزء الأول من كتاب "موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة" لإبراهيم "أحمد شعلان" يحتوي في ثناياه على كثير من الأمثال الشعبية المصرية التي تميزت بتسجيل التعبيرات النسائية. نظراً لأهمية اللغة المتداولة أو اللهجة الدارجة في دراسات علم اللغة الثقافي رأينا أننا نفتقر إلى البحث عن كيفية الهوية الثقافية والاجتماعية للمرأة عبر الأمثال المتداولة في اللهجات العربية. بالاعتماد على المنهج الوصفي-التحليلي وحسب الأسلوبية الإحصائية تناولنا الأمثال الشعبية النسائية وفق الكتاب المذكور وعلى ضوء نظرية التسلط، فتوصلنا إلى النتائج التالية: نسبة الميزات السلبية للمرأة تفوق ميزاتها الإيجابية. المرأة في مقام التعبير عن آرائها تختار كثيراً ما أسلوب الجملة الاسمية والخبرية وفي مقام التنافس والتحدّي تختار أسلوب تكرار الضمير وفي مقام بيان التحسّر والفشل وخيبة الأمل والإحباط النفسى تميل إلى اختيار أسلوب الجملة الإنشائية في سلوكها اللغوي. فنلاحظ أنّ المرأة تملك هوية تابعة من الرجل في الاقتصاد والفكر ومعايير الجمال ومدى قداستها ودناستها. كما أنّ المرأة تميل إلى استخدام مفردات بشعة وسيئة في المفاهيم وتستخدم اللغة التمثيلية وهذه في التناقض مع ما أثبتتها نظرية التسلط أنّ المرأة تميل إلى استخدام لغة أكثر تأدّباً.

الكلمات الدلالية: الهوية الثقافية والاجتماعية، المرأة، الأمثال المصرية، نظرية التسلط.

*. دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة العلامة الطباطبائي، طهران، إيران

ehyakomasi@yahoo.com

** دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة العلامة الطباطبائي، طهران، إيران

*** طالبة مرحلة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة العلامة الطباطبائي، طهران، إيران

تاريخ القبول: ١٤٤٤/٠٨/١٤

تاريخ الاستلام: ١٤٤٣/١١/١٧

المقدمة

ينتهي مؤدّى دراسات علم اللغة الحديث انطلاقاً من تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية على اللغة إلى هذا القول: إنّ هناك مستويات متعدّدة من اللغة تولّدت من جرّاء كيفية رؤية المجتمع إلى التمايزات المتواجدة بين أصحابه. الشواهد اللغوية التي يتمسّك بها علماء اللغة تبين أنّ هناك اختلافات بين أصحاب اللغة فى استعمالها فيبدو أنّها تنبثق من العوامل الاجتماعية والثقافية فى المجتمع. حسب ما تطرّقنا إليه، من الممكن القول إنّ التمايزات بين الجنسين (الذكر والأنثى) والعرقية والطبقية من العوامل التي لها أثر بالغ الأهميّة فى إنتاج الاختلافات اللغوية. تخضع اللغة لظروفها الخارجية وتستخدم بأشكال مختلفة من قبل مجموعات اجتماعية مختلفة. وفقاً لرأى علماء اللغة، يمكن التمييز بين اللغتين الأنثوية والذكورية.

اختلاف الرجال والنساء فيزيولوجياً أمر طبيعى وربّانى لا إنكار ولا نقاش فى ذلك بيد أنّ اختلاف السلوك اللغوى بين الجنسين استقطب نظرة علماء اللغة المحدثين. لقد أصبح الجنس من المتغيرات الهامّة التي تهتمّ بها الأبحاث السوسiolسانية الحديثة؛ لما له من أثر فى التباين والتنوّع بين لغة الرجال والنساء فى المجتمع. قد استطاع العلماء أن يفسّروا الاختلاف اللغوى بين الجنسين بنظرية السيادة والتسلّط التي تُعدّ أنّ لغة الرجال يمكنها أن تكون أداة للسيطرة على النساء فمادام ثقافة مجتمع تنبّئ فكرة أنّ هناك اختلاف بين الذكر والأنثى وأنّهما غير متساويين فسبقى الاختلاف اللغوى بين الجنسين. (هّان، ٢٠٢٠م: ٢٤٢) من ثمّ نستطيع القول إنّ لغة المرأة تتأثر بشدّة بمكانتها الاجتماعية فى المجتمع فتستخدم الكلمات والمفاهيم والأشكال النحوية التي تعكس نوعاً ما اعتراف المرأة بسيطرة وتحكّم الرجل عليها فى المجتمع.

تبرز الاختلافات اللغوية بين الجنسين فى النصوص الأدبية والأمثال الشعبية ... بما أنّ الأمثال الشعبية تعتبر لغة متداولة وحية واجتماعية بين الشعب فمن الممكن ظهور الاختلافات اللغوية الكثيرة بين الذكر والأنثى فيها. يعترف "سوامية" بأنّ الأمثال العربية تمثّل شفرات ثقافية ودليل صادق على كيفية الشخصية العربية ومكوّن من مكوّنات الثقافة وسمة من سمات المجتمع ومن خلالها يمكن التعرف على خصائص

المجتمع وعاداته وتقاليده وقيمه. وهى تحمل فى طياتها دلالات اجتماعية وثقافية عن مظاهر الحياة العامة السائدة على المجتمع. (سوامية، ٢٠١٨م: ٢٨١) كما نلاحظ اعتراف العلماء بأن «دراسة لغة الذكور والإناث فى المجتمعات العربية يجب أن تقوم على أساس كل مجتمع على حدة لأن تلك الاستعمالات الخاصة لن تفهم إلا فى إطار ذلك المجتمع وباللهجة العربية المستعملة فيه.» (خرما، ١٩٧٨م: ١٩٦)

نفترض أن فرداً يحاول التحليل خارج المنظومة اللغوية للجماعة، على سبيل المثال يستخدم مصطلح "عظم الله أجوركم" فى مقام التهئة ويخالف المجتمع فى استخدامه ويخرج عن المألوف فهو من المتأكد سيتعرض للانتقاد والسخرية. لذلك نستطيع أن ندعى أن وجود الاختلافات اللغوية بين الجنسين وانحصار بعض المصطلحات ضمن استخدام النساء ليست خارج إطار المجتمع بل الاجتماع هو الذى يعين أن تكون لغة الأنثى مختلفة عن لغة الذكر. بما أن اللغة طبيعة اجتماعية فيعتقد علماء اللغة أن السلوك اللغوى الخاص بالنساء يتولد من المجتمع أو بعبارة أخرى إن اللغة هى التى تبين كيفية الهوية الثقافية والاجتماعية للنساء.

انطلاقاً من أهمية الأمثال الشعبية بمثابة اللغة التى تعكس البنية التحتية للثقافة وما يحدث فى المجتمع ويتجلى فيها الوعى الجماعى للشعب وتحكى عن تاريخه عبر الزمن واتخاذ دراسة اللهجة كضرورة علمية لمعرفة حياة الشعب العربى نريد أن ندرس السلوك اللغوى للمرأة المصرية للحصول على هويتها الثقافية والاجتماعية من منظور اللهجة المتداولة بين الشعب المصرى على ضوء نظرية التسلط.

منهج البحث

ستتمسك بالأمثال والتعبيرات الشعبية المصرية معتمدين على المنهج الوصفى _ التحليلى وفقاً للأسلوبية الإحصائية وسنركز للاستشهاد بالنماذج على الجزء الأول من كتاب "موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة" لإبراهيم أحمد شعلان وسنستمد مما استفسرنا من المواطنين المعمرين المثقفين المصريين عن التعابير الشعبية المصرية. سبب اختيار هذا الجزء من الكتاب يعود أولاً إلى تعايش مؤلف الكتاب مع

الذين يعيشون في القرى المصرية واعتماده مباشرة وبدون واسطة على ما سمع من المواطنين، ثانياً يعود إلى تسجيل الأمثال المربوطة بمجتمع النساء بالتحديد في مصر وما تعرّض للتغيرات الدلالية عبر الزمن بالتحولات التي حدثت في مجتمع النساء بالأخصّ.

أسئلة البحث

- أمّا من أهمّ الأسئلة التي نريد أن نجيب عنها في هذا البحث، فهما:
- ما هي الهوية الثقافية والاجتماعية للمرأة المصرية من منظار الأمثال الشعبية على ضوء نظرية السيادة والتسلّط؟
 - كيف تعكس الأمثال الشعبية المصرية السلوك اللغوي المختصّ بالنساء في مجتمع مصر والميزات المنتسبة إليها؟

فرضية البحث

نطرح الفرضية التالية للإجابة عن السؤالين الأساسيين للبحث:

يمكن تعميم نظرية السيطرة والتسلّط على مجتمع مصر وهي أنّ للرجل سيطرة على المرأة فلا تتميز المرأة المصرية وفقاً للأمثال المدروسة بمكانة اجتماعية متساوية في القياس مع الرجل. المرأة المصرية لها تعابير وجمل تدلّ على اعترافها بتحكّم الرجل وهذا يشير إلى الاختلاف في السلوك اللغوي الذي ينشأ من العوامل الاجتماعية والثقافية في مجتمع مصر.

خلفيات البحث

تناولت بحوث هائلة موضوع علاقة اللغة والجنس أو اللغة والمرأة وأثبتت أنّ هذه المسألة في العلاقة مع الدراسات الثقافية والاجتماعية ولا يمكن انفصالهما فلم تعد الحاجة إلى إثبات ذلك من جديد، بيد أنّ التركيز على اللهجات العربية واللغة الدارجة بين الشعب العربي وأهميتها في اكتشاف الهوية الثقافية والاجتماعية للمرأة لم تنل الحظّ الكبير عند الباحثين. أمّا البحوث التي تساعدنا على الوصول إلى أهدافنا في هذا

البحث واستلهمنا الفكرة الأساسية منها، فهي:

١. مقالة: "اللهجة بين الحتمية الاجتماعية والاقتضاء العلمي" لأحمد قريش انتشرت في مجلّة الإنسانيات عام ٢٠٠٩م. هذا البحث يعالج كيفية التطوّرات المعنائية الحادثة في اللغة العربية فيصل إلى أهمية دراسة اللهجة كالحتمية الاجتماعية والاقتضاء العلمي.

٢. مقالة: "السلوك اللغوي واختلاف الجنسين في ضوء اللسانيات الاجتماعية" ألّفها الباحثة "إيمان هتّان" ونشرتها في مجلّة "الآداب واللغة" سنة ٢٠٢٠م. حصلت المقالة إلى هذه النتيجة أنّ المرأة إن كانت شريكة الرجل في هذه الحياة إلاّ إنّ لها خصائص ومميزات فيزيولوجية ونفسية واجتماعية تجعل سلوكها اللغوي يختلف بوضوح عن سلوك الرجل في كثير من العناصر فإنّ مثل هذه الدراسات جديرة بالاهتمام.

٣. كتب "على أكبر أحمدى" وزملاؤه مقالة تحت عنوان "اللغة والجنس في القصص القصيرة لفضيلة الفاروق وزويا بيرزاد على ضوء آراء روبن لاكوف" ونشرها في مجلّة "بحوث في الأدب المقارن" سنة ٢٠١٨م. ومن نتائج البحث أنّ غالبية الشخصيات النسائية عديمات الثقة بذواتهنّ بحيث يخفن من مواضع الحكم في المجتمع الرجولي. لذلك يبرز في محادثاتهنّ استخدام عدد غير قليل من القيود التشكيكية والألفاظ الدالّة على مبدأ اللايقين.

٤. كتاب "اللغة والجنس؛ حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة" لعيسى برهومة وكتاب "المرأة واللغة؛ مقاربات حول المرأة والجسد واللغة" لعبدالله محمّد الغدامى. وهذان من أهمّ الكتب التي ألّفت في عالم العرب وبالغت الاهتمام بعلاقة اللغة العربية مع الجنس. سنركّز على هذه الكتب في معالجة الإطار النظري للبحث حيث تلازم أهدافنا.

عشرنا في اللغة الفارسية على بحوث لاتعدّ ولاتحصى تكثرت بدراسة اللغة والجنس في العلاقة مع الثقافة والاجتماع. نشير إلى أهمّها:

١. مقالة "بازتاب فرهنگى هويت زنانه در ضرب المثلهاى زبان فارسى و روسى"

للباحثة "وجيهة رضوانى" التى انتشرت فى مجلة "بژوهشهاى زبان شناختى در زبانهاى خارجه" سنة ١٣٩٩ش. بحث المؤلفة عن انعكاس الهوية الثقافية للمرأة على الأمثال الفارسية والروسية وقامت بالمقارنة بين المرأة الإيرانية والروسية عبر الأمثال المتداولة. من النتائج الهامة للبحث أنّ الجمال والمرأة مفهومان متلازمان فى الأمثال فيبدو أنّ جمال المرأة يعطيها مكانة متميزة فى مجتمعها.

٢. كتب جمع من المؤلفين مقالة فارسية "بررسى ويژگيهاى زباني زنان با توجه به متغير سن بر اساس رويکرد ليكاف" ونشروها فى مجلة "جستارهاى زباني" سنة ١٣٩٧ش. هذا البحث قام بتطبيق نظرية التسلّط على اللغة الدارجة فى مدينة كرمانشاه بإيران. وحصل على أنّ تعميم جميع مؤشرات نظرية التسلّط على مجتمع النساء فى مدينة كرمانشاه أمر مستحيل. يمكن أن يقال: إنّ المرأة للهروب من مكانتها الدونية فى القياس مع الرجل فى المجتمع تلجأ إلى استخدام سلوك لغوى خاصّ بها نحو الجمل الإنشائية وتعابير طفولية (صبيانية) و... من الممكن الادّعاء أنّ البحث المتناول بين أيدينا يعدّ -قدر علمنا- من الدراسات الأولى التى تهتمّ بأهمية دراسة اللهجات المحلية للحصول على فهم الهوية الثقافية والاجتماعية للمجتمع العربى بالأخصّ مجتمع النساء. وهذا هو الذى يميز دراستنا عن الدراسات السابقة.

الإطار النظرى للبحث

العامل الاجتماعى والثقافى واختلاف السلوك اللغوى بين الجنسين

من بين العوامل التى لها دور فى الفروق بين الذكر والأنثى، العامل الثقافى والاجتماعى أثار انتباه علماء اللغة وقالوا «إنّ كثيرا من التباينات اللغوية للجنسين تصطبغ بعوامل اجتماعية وثقافية فالرجال والنساء نتاج تأثيرات المحيط وشروطه.» (برهومة، ٢٠٠٢م: ٣٠)

صحيح أنّنا لا نستطيع أن نرفض العامل البيولوجى والفسىولوجى فى إنتاج

الاختلافات اللغوية بين الجنسين ولكن للعامل الثقافي والاجتماعي صبغة كثيرة ودور عظيم فلا يمكن إنكارها. اللغة هي أبرز الظواهر الثقافية والاجتماعية وتجرد اللغة عن الطبيعة الاجتماعية تجرداً تاماً أمر مستحيل فنلاحظ أنّ "مصطفى لطفى" في كتابه "اللغة العربية في إطارها الاجتماعي" يؤكد على العنصر الاجتماعي في اللغة فيذهب إلى أنّ صلة اللغة بالمجتمع وثيقة وتأثيرها بمعطياته ومكوناته أمور لا جدال فيها. (لطفى، ١٩٧٦م: ٤٥)

نظرية التسلط

نظرية التسلط أو السيادة من النظريات التي تدرس اللغة والجنس في علاقة اللغة مع محيطها الاجتماعي. نظرية التسلط تعتبر الفئة النسوية فئة مهمشة ومضطهدة من قبل الرجل. ولغة الرجال يمكنها أن تكون أداة للسيطرة على النساء. (هنان، ٢٠٢٠م: ٢٤٢) فمادام المجتمع يقدم كلاً من المرأة والرجل على أنهما مختلفان وغير متساويين فستبقى الاختلافات اللغوية بين الاثنين. (عمر، ١٩٩٧م: ٢٤) نستنتج من منطلقات ما قيل أنّ نظرية السيادة أولاً تُدرّس ضمن علم اللغة الاجتماعي وثانياً تبحث عن أسباب اختلاف السلوك اللغوي بين الجنسين وثالثاً تكثر بالمباحث النسوية.

انتبه علماء اللغة القدماء في العالم العربي بالتنوعات اللغوية بين الرجال والنساء. فمنهم أبو بكر الباقلانى الذى جاء فى تعليقه على قول امرئ القيس: (لك الويلات إنك مرجلى) بكلام يدل على أنه يجعل استخدام مفردة "ويلات" ضمن استخدام النساء فقال: «هذا من كلام النساء.» (الباقلانى، ١٩٥٤م: ٨١) ومنهم أبو الفتح عثمان بن جنى حين درس أسلوب الندبة وقال: «أكثر من يتكلم بهذا الأسلوب النساء.» (ابن جنى، ١٩٩٠م: ١٢) لعل أول من درس نظرية التسلط فى عالم الغرب هو "ميشيل فوكو" لما قال: «إن ما هو صوابٌ يعتمد على من يهيمن على الخطاب.» (فوكو، ١٩٨٤م: ٩) يحمل لواءها "روبن لاکوف"¹ ويعتقد أنّ اللغة تخضع لظروفها الخارجية وتستخدم بأشكال مختلفة من قبل المجموعات الاجتماعية المختلفة أى أنّ الرجال والنساء يستخدمون

اللغة بطرق مختلفة. (فياض ورهبرى، ١٣٨٥ش: ٣٨-٣٧) رغم أنّ إنجازات "لاكوف" تتبنّى الإدراكات الشخصية وغير علمية لكنّها تعتبر ذات أهمية كثيرة لأنّها قدّمت مناهج وأساليب تفرق لغة النساء بها عن مناهج أو أساليب أخرى. (نعمتى، ١٣٨٢ش: ٧٨)

"روبين لاكوف" طرحت مسألة التسلّط وذهبت إلى إثبات أنّ عدم المساواة بين الذكر والأنثى فى المكانة والأدوار الاجتماعية أسفرت عن الاختلافات فى السلوك اللغوى بينهما. المرأة تملك مكانة اجتماعية سافلة وتتأثر بثقافة مجتمعتها فتستخدم اللغة السافلة. (Lakoff, 1973: 73) نلاحظ أنّ نظرية التسلّط تعتقد بأنّ الرجل يحتسب الأساس فى المجتمع، من ثمّ اللغة التى يستخدمها تعتبر المعيار حيث لغة النساء لا تعترف بها كالمحور أو المعيار فى المجتمع. (ترادجيل، ١٣٧٦ش: ١١٢)

نلاحظ تشكّل اتجاهين ضمن نظرية التسلّط وهى: ١. الاتجاه الذى يرى أنّ لغة النساء تتأثر بمكانتهم السافلة فى المجتمع و«أنّ الفرق بين الرجل بصفاته الإيجابية والمرأة بصفاتها السلبية إنّما هو فرق إيديولوجى ثقافى اجتماعى دافع عنه المجتمع والثقافات المختلفة بقوة القانون والسلاح.» (الرويلى والبازغى، ٢٠٠٢م: ١٥١) وهو الذى يضع قيودا على التفكير والإبداع والسلوك اللغوى للإناث. ٢. الاتجاه الذى يرى أنّ اللغة فى اختيار الرجال على الإطلاق ولا يعتقد بمجرد التأثير. يميل أصحاب الحركة النسوية إلى هذا الاتجاه حيث بالغوا فيها فقالوا إنّ اللغة ذكورية فى المجتمعات ولا لون للغة النساء وقام الرجال بإحباط النساء لغويا إلى أن أصبحت لغة النساء أمرا هامشيا ومنسيا. (فياض ورهبرى، ١٣٨٥ش: ٣٨)

أسّست "روبين لاكوف" نظرية التسلّط بكتابة مقالة عنوانها "اللغة ومكانة المرأة" وأثارت جدال ونقاش العلماء حيث قدّمت مؤشّرات لتبيين السلوك اللغوى للنساء وميزته عن لغة الرجال. من الممكن انحصار مؤشّرات لتبيين التغير اللغوى بين النساء والذكور حسب نظرية "لاكوف" فى: ١. الخصائص الصوتية والنطقية ٢. الخصائص الدلالية لمفهوم المفردات والجمل ٣. الخصائص الأسلوبية. سنتطرق فى المباحث التالية إلى مؤشّرات لغة النساء حسب نظرية التسلّط أكثر.

الإطار التحليلي للبحث

قسّمنا بيانات أمثال كتاب "موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة" لإبراهيم "أحمد شعلان" حسب السلوك اللغوي المختصّ بالنساء والميزات التي أطلقت إليها من قبل المجتمع المصرى إلى ثلاثة أقسام: ١. قسمٌ يبحث عن الميزات اللغوية للنساء حسب نظرية التسلط وما قدّمت "روبين لاكوف" من الخصائص الأسلوبية للمرأة أو بعبارة أخرى يطبّق مؤشّرات نظرية التسلط على الأمثال ٢. قسم يبحث عن الخصائص اللغوية للمرأة المصرية فى الأمثال وذلك وفق ما عثر مؤلّفو هذا المقال عليها ولم تشر إليها لاكوف فى نظريتها ٣. قسم يبحث عن الميزات السلبية والإيجابية للمرأة المصرية حسب مفاهيم الأمثال وذلك لتقييم تناسب المفاهيم مع الأساليب المتداولة. فى كلّ قسم اعتمدنا على الأسلوب الإحصائى وملنا إلى احتساب التكرار والتواتر لكلّ الميزات اللغوية المستخرجة من الأمثال. الجدير بالذكر أنّ معيارنا لكيفية استخراج الأمثال النسائية من كتاب أحمد شعلان هو يعود إلى ما ذكره مؤلّف الكتاب بعنوانين مختلفة، نحو: هذا من أمثال النساء، تقوله الزوجة، هذا من أقوال الأمّ، من الأمثال النسائية، المثل عبارة من حوار بين الحماة وزوجة الابن و... .

أ. الميزات اللغوية للنساء فى الأمثال حسب مؤشّرات نظرية التسلط

من خلال ما انعكس على الأمثال فى المجلد الأوّل لكتاب "أحمد شعلان" من الممكن أن نبين الهوية الثقافية والاجتماعية للمرأة حسب المؤشّرات التى حدّدها "لاكوف" لخصائص اللغة النسائية وهى: ١. الخصائص الدلالية لمفهوم المفردات والجمل ٢. الخصائص الصوتية والنطقية ٣. الخصائص الأسلوبية. الآن ندرس مكّونات منهج لاكوف لدى المرأة المصرية فى المباحث التالية. فى هذا القسم من البحث قمنا بإحصائية ما يتواتر فى الأمثال المصرية من ميزات لغوية للنساء حسب نظرية التسلط كما يلى فى الجدول التالى.

الرقم ١: الميزات اللغوية للنساء حسب مؤشرات نظرية التسلّط

عدد التواتر	الأساليب	الميزات اللغوية للنساء
٧١	الاسمية	استخدام الأسلوب أقلّ حزمًا والتجنّب عن الصراحة
٥	السؤال القصير	
٣٣	التأكيد	
٢٠	النداء	استخدام مكملات وأدوات ليس لها دور وظيفي فيما يخصّ المحتوى
١	التعجب	
-	-	اتجاه المرأة إلى استخدام كلمات أو أسلوب أكثر تأدّبًا
-	اللون	استخدام مفردات أو عبارات ترتبط بعالم النساء أكثر من عالم الرجال
٢٤	مفردة الزوج والرجل	

- استخدام أسلوب أقلّ حزمًا والتجنّب عن الصراحة

تذهب لأكوف إلى إثبات أنّ التراكيب الشكلية تظهر في كلام المرأة التي تشير إلى أنواع الاحتمالات والشك في الأحداث التي وقعت أو سوف تقع. فهنّ يستعملن مفردات أو أدوات تدلّ على الغموض وعدم الحزم والقطع. (برهومة، ٢٠٠٢م: ١٩١) من ثمّ المرأة حسب نظرية التسلّط تستعمل لغة للمنع من الصراحة في تقديم رأيها. تمّ العثور على أساليب الجملة الاسمية والسؤال القصير والمؤكّدات في كلام المرأة المصرية وهي ضمن مؤشرات نظرية التسلّط وتحمل دلالة عدم القطعية والحزم والثبات في الرأى والتجنّب عن الصراحة في الكلام.

حسب رأى "روبين لأكوف" أنّ المرأة تستخدم الأسماء أكثر من استخدام الأفعال فهي «تميل إلى استخدام الأحداث ذات المسند الوصفي فيما يميل الذكور إلى استخدام الأفعال بكثرة. ويعلّل بعض الدارسين أنّ التفاوت في استخدام الأفعال والأسماء يرجع إلى طبيعة الجنس فالتعبير بالأحداث يفضى إلى سيطرة فاعلة أمّا التعبير بالأسماء فيعنى قبولًا والتزامًا.» (برهومة، ٢٠٠٢م: ١٢٨) كما نلاحظ في الجدول السابق أنّ أسلوب الجملة الاسمية أكثر تواترًا وتكرارًا في كلام المرأة المصرية في القياس مع الميزات اللغوية الأخرى حيث عدد تواترها يصل إلى ٧١ مرّة. إن قمنا بمقارنة عدد

تواتر الجملة الاسمية مع الجملة الفعلية في اللغة النسائية رأينا أنّ نسبة الجملة الاسمية تفوق نسبة الجملة الفعلية. الجدير بالذكر أنّ عدد تكرار الجملة الفعلية تبلغ إلى ٢٠ مرة. المثلان: «الرجالة غابت والسّتات سابت» (شعلان، ٢٠٠٣م: ١ / ٢٩٠) و«حرمة من غير راجل زى الطربوش من غير زى» (نفس المصدر: ٢٥٠) يبينان أنّ الرجل حارس للمرأة ألاّ تفسد أخلاقها حيث غيابه عن حياتها يسفر عن وقوعها في الأزمات الأخلاقية فلا بدّ من تواجد الرجل في حياة المرأة. الطربوش قبعة قديمة كان يستعملها الرجال في القديم والمثل يعبر بأسلوب الساخر عن حال المرأة الوحيدة فنلاحظ أنّ المرأة اختارت الجملة الاسمية لاعترافها أو اعتقادها بضرورة حضور الرجل في حياتها. أمّا في مثلين تالين: «الحماة عقرب تقرص وتهرب» (نفس المصدر: ٢٥٦) و«السلفة داهية مختلفة» (نفس المصدر: ٢١٣) فالمرأة تعتقد أنّ حمايتها كالعقرب في كلامها اللاذع والسلفة كالداهية العظيمة.

كما نلاحظ في المثلين السابقين أنّ المرأة لما تكون في مقام الالتزام باعتقاد قبول ما حمّل عليها والاعتراف بما تؤمن والتعبير عن تجارب حياتها وبيان ما ورثته من الحياة كالقوانين، تلجأ إلى استخدام الجملة الاسمية. في متناول أيدينا أمثال عديدة تبين أنّ المرأة المصرية لما تكون في مقام التعبير عن تجارب حياتها وآرائها تتمسك بالجملة الاسمية، نحو: «أسى الولادة منسى» (نفس المصدر: ١٠٠) و«أكل ومرعى وقلة صنعة» (نفس المصدر: ١١٤) و«البكرية زى العروس المجليّة» (نفس المصدر: ٢٠٦) و«جرى السحلية ولا قطع الدرية» (نفس المصدر: ٢٣٢) و«السّت اللي مابتخلفش زى الضيف» (نفس المصدر: ٣١٠) و«قالع راسه وعادم ناسه» (نفس المصدر: ٣٩٨) و«كل دار ولها مدار.» (نفس المصدر: ٤٢١)

يستحقّ القول إنّ المرأة في مقام التخيل والحرافة وتقُدّس الحظّ والتقدير تتّجه إلى استعمال الجملة الاسمية كذلك، نحو: «بخت الوحشة يزيد حِفنة» (نفس المصدر: ١٩٥) و«لا أمى ولا اختى ده قلة بختى.» (نفس المصدر: ٤٣٦) في الحقيقة وفق هذه الأمثال لا نستطيع أن نحكم حكماً قاطعاً أنّ المرأة المصرية تتّجه إلى الحرافة والتخيل أكثر من اتجاهها نحو التعقّل وهي شخصية تقُدّس الحظّ والتقدير ولكننا حسب ما تجلّت في

الأمثال المدروسة نستطيع أن نستنتج أنّ المرأة تميل إلى مفاهيم التقدير والتخيل أكثر من الرجال. يتفق أصحاب الحركة النسوية ونظرية التسلّط على «أنّ النساء يعتبرن سلبيات وأقلّ عقلانية وهذا في مجتمع يزن العقل أكثر من العواطف فهذا يعنى فى الواقع أنّهن مقودات ومدارات من قبل من هم أكثر عقلانية وأكثر فاعلية (الرجال). وتعتبر النساء غير مستقلات وقليلات الإبداع ولذلك يظهرن ملائمت بصورة خاصّة للأشغال الروتينية.» (شوى، ١٩٩٥م: ٢٠) إذاً المرأة تكاد أن تنعدم من العقلانية والكفاية أو الإجابة بالوظائف الاجتماعية فى بعض المجتمعات وهذا هو الذى يؤكّد عليه رواد نظرية التسلّط. فنرى كيف المرأة تمثّل الإنسان غير عاقل وغير فاعل فى الأمور الاجتماعية حيث الرجل إذا كان يطاوع المرأة يعتبر كالمرأة. قد يمكن حسب نظرية التسلّط استنتاج هذا أنّ المرأة باستخدام الجملة الاسمية تعبّر عن تجارب حياتها وآرائها كاحتمالات أو تخيلات تتغير ولا تعتبر أمراً ثابتاً حيث الرجل يعبّر عن تجارب حياته كقوانين ثابتة وغير متغيرة فلذلك يستخدم الجملة الفعلية.

أمّا السؤال القصير فهو أسلوب تستخدمه المرأة فى كلامها ليحمل دلالة الاحتمال وعدم القطعية والحزم وفق نظرية التسلّط. فى هذا المثل: «يا سوق بلا رجالة وإيش تعمل النسوان.» (شعلان، ٢٠٠٣م: ١/٥٤٨) جاءت المرأة بأسلوب السؤال القصير فيبدو أنّ استخدام المرأة هذا الأسلوب (إيش = ماذا) فى كلامها دليل على أنّها لاتستطيع أن تقدّم رأيها إلى المخاطب مباشرة أو تعطى رأياً صارماً فى كل المجالات بل تحتاج إلى تصديق المخاطب أو إنكاره. كما تعتقد "روبين لاكوف" أنّ استخدام المرأة للسؤال القصير «يعكس شخصيتها وهو جزء من عدم أخذ المرأة على محمل الجدّ لأنّ السؤال يؤكّد أنّها لاتستطيع أن تصدر قراراً وبالتالي عدم الثقة بها لتحمل المسؤولية.» (برهومة، ٢٠٠٢م: ١٢٦-١٢٧) تكرّرت صورة المثل السابق فى المثل التالى أيضاً: «إيش تعمل المشاطة فى الوجه العكر.» (شعلان، ٢٠٠٣م: ١/١٨٨)

من السلوك اللغوى لكلام المرأة حسب نظرية التسلّط هو: يغلب على أسلوب اللغة للمرأة التكرار والمؤكّدات. تعيد "لاكوف" سبب هذا السلوك اللغوى المختصّ بالمرأة إلى عدم الثقة بنفسها لتحمل المسؤولية وتؤكد أنّها لاتستطيع أن تصدر قراراً.

(برهومة، ٢٠٠٢م: ١٢٧) التكرار ظاهرة نراها في الأمثال النسائية حيث المرأة تتجه إلى استخدام التكرار في كلامها للتأكيد على أمر ما، نحو: «يا دى الشيلة يا دى الحطة رُحنا على جمل وجينا على قطة» (شعلان، ٢٠٠٣م: ١/٥٤٥) و«لاحصيرة ولامخدة وكمان مش لدة؟؟» و«لا بيت أروحه ولا بيت أجيهِ ولا بيت أشكى اللى نابى فيه» و«لا بتى ولا مسيتى يا داهية الشوم جيتى.» (نفس المصدر: ٤٣٧) يبدو أن تكرار حرف "لا" واستخدام المنادى يبين غاية تحسّر المرأة على فقدان رفاهية الحياة الزوجية وكان على الزوج أن يوقرها لها. تحسّر المرأة على ما فقدته والاعتراف بالفشل فى الحياة الزوجية هما أبرز شىء يعبران عن عجزها وتسלט الرجل عليها. كأن مفاهيم التحسّر والفشل تتناسب مع الأساليب الإنشائية. من ثم نلاحظ أن أكثر الأمثال التى تدل على اعتراف المرأة بفشلها وخيبتها تأتى فى قالب المنادى والتأكيد بالتكرار.

- استخدام مكملات وأدوات ليس لها دور وظيفى فى المحتوى

ذهبت صاحبة نظرية التسلط "روبين لاكوف" إلى إثبات أن المرأة تستخدم الأدوات والحروف أكثر من الرجل فى لغتها. هذه الأساليب مائة أو مكملة لا معنى لها كما يقرّر اللغويون. (برهومة، ٢٠٠٢م: ١٢٨) النداء من المكملات وأداة ليس لها دور وظيفى فى المحتوى فنلاحظ أنه يتواتر ٢٠ مرة فى أمثال كتاب شعلان كما أشرنا إليه آنفا فى الجدول السابق. فى الأمثال التالية سنلاحظ كيف المرأة المصرية تتجه إلى استخدام النداء وما تقصد إثر ذلك.

- «يا رتنى بيضة ولى ضبّ والله البياض عند الرجال ينحب» و«يا رتنى بيضة ولى عرقوب والله البياض عند الرجال محبوب» و«يا رتنى بيضة ولى بربور والله البياض عند الرجال محبوب.» (شعلان: ٢٠٠٣م: ١/٥٤٦) نشاهد أن النداء أى "يا رتنى" أسلوب لغوى يتكرّر عند النساء. كأن الرجل هو الذى يحدّد معايير الجمال للمرأة فنلاحظ أن المرأة المصرية تعترف نفسها من جرّاء استخدام أسلوب النداء بأن بياض لونها محبوب عند الرجل. إن المرأة تتمنى أن تكون بيضاء ولو عندها عيوب أخرى. وهى تعتبر نفسها أن تكون البيضاء ذات ضبّ وعرقوب (عيب ونقص خلف عقب الرجل) وربور (الذى مخاط

أنفه دائم السيلان) أجمل من نفسها أن تكون سوداء لأنّها تمتلك حبّ الرجال وتدخل في قلبه. تواجد أسلوب النداء في هذه الأمثال خير دليل على أنّ ثقة المرأة بنفسها تتعلّق بلونها حيث أن تكون بيضاء تمنحها ثقة وأن تكون سوداء تمنحها الإحباط النفسى أو خيبة الأمل. استخدام أسلوب "يا رتنى" أى (يا ليتنى) والالتزام بالحلف والقسم (والله) أكثر دلالة على أنّ المرأة لديها الحسرة والآلام والتأوهات الكثيرة فى التضاد العنصرى وهو أنّ المرأة السوداء لا تتساوى فى المكانة الاجتماعية مع المرأة البيضاء. أسلوب التمنى (يا رتنى) يعكس الصورة الحقيقية من مشاعر المرأة تجاه الرجل أنّها لن تحصل على حبه إلاّ أن تمتلك معيار الجمال الذى قرّره الرجل لها. وأسلوب القسم تأكيد أوّلا على اعتراف المرأة السوداء بخيبتها وفشلها فى الحياة الزوجية وثانيا محاولة على إقناع الآخرين بما أدركت أو أحسّت من اختلاف المكانة الاجتماعية.

الجمال أمر نسبى ولكلّ مجتمع معايير لتقييم جمال المرأة يختلف بها عن مجتمع آخر. من الممكن الادّعاء أنّ معيار الجمال فى المجتمع يعين إلى حدّ ما كيفية هوية المرأة فى ذلك المجتمع. على سبيل المثال؛ فى اللغة الروسية يعتبر اللون الحنطاوى أو السمراوى معيارا لجمال المرأة لقلّة تواجد هذا اللون فى روسيا (رضوانى، ١٣٩٩ش: ٧٩٦)؛ حيث يعتبر تميز المرأة المصرية باللون الأبيض معيارا لجمالها. فيبدو أنّ الرجل هو الذى يقرّر هذا المعيار للجمال. هناك معايير ومستويات لتقييم جمال المرأة فى مجتمع مصر. لذلك تهتمّ المرأة بجمالها ومعاييرها فنلاحظ أنّها تتأثّر بما يقبل المجتمع من معايير الجمال وتعترف بها فى كلامها اللغوى.

نلاحظ فى المثل هذا: «يا بخت الناس برجالنا ويا تعاستنا برجال الغير» (شعلان، ٢٠٠٣م: ٥٤٠/١) أنّ المرأة تتمسّك بأسلوب النداء حتّى تبين حسرتها وخيبتها وتعاستها فى اختلاف الأحوال وعدم توفيقها فى التعامل مع الغير رغم توفيق الغير فى التعامل مع زوجها.

– استخدام مفردات أو عبارات ترتبط بعالم النساء أكثر من عالم الرجال
لاحظت "لاكوف" وجود عبارات أو مفردات تتناسب عالم النساء. ومن مجموع ما

تناولت إليه عن خصائص المفردات والتعبيرات في لغة المرأة هي اللغات الدالّة على الألوان والزينة والديكور. (Lakoff. 1973: 73) من الخصائص الدلالية للمفردات التي تستخدمها المرأة هي الصفات ذات دلالة تقنع المخاطب و تستقطب انتباهه، على سبيل المثال؛ المرأة في اللغة الفارسية تستخدم مفردة "با نمك" كثيراً (نفس المصدر) أو تستخدم المرأة المصرية مفردات "يا مزّة" و"يا عسولة" و"يا لهوى" أو تستخدم المرأة في اللغة الإنجليزية مفردة "cute" في كلامها كثيراً ما. يبدو أنّ اتصاف المرأة بالمفردات المغايرة من قبل المجتمع هو من إحدى التمايزات اللغوية التي نشاهدها بين الرجال والنساء. «تحمّل بعض الألفاظ دلالة مغايرة فيما لو أطلقت على أحد الجنسين، فالسيد هو الرجل المحترم والسيدة هي المرأة المتزوجة أو ابن شارع يدلّ على رجل غير مؤدّب أمّا ابنة شارع فتدلّ على اللقيطة.» (برهومة، ٢٠٠٢م: ١٣٢)

تميز المرأة الألوان تمييزاً دقيقاً من الرجال فهناك ألوان يتردّد ذكرها عند النساء فهي: العنّابى أو البصلى أو الكّمونى أو أصفر حليبي و... ذكرت "لاكوف": "أنّها سمعت رجلاً يضحك ضحكات متتالية لاستماعه نقاشاً بين الشخصين حول لون غلاف الكتاب إن كان بنفسجياً أو عنّابياً. فالرجل يرى أنّ هذا الحوار تافها ومضيقاً للوقت. (Cameron. 244: 1998) يستحقّ الذكر أنّنا ما عثرنا في الأمثال على كلام يبين أنّ المرأة المصرية تميز الألوان تمييزاً دقيقاً. عثرنا على مفردات تتواتر عند النساء في الأمثال المصرية وهي تدلّ على اهتمام المرأة بحياتها الزوجية وأمومتها.

في الحوار بين الرجال يجرى الحديث حول السياسة وتشريع القوانين والمزاح والرياضة بينما تتمحور مواضيع النساء مع أقرانهنّ حول أحاسيسهنّ والعلاقات والمنزل والعاطفة. (آذرى، ٢٠١٢م: ٣٣) كان المجتمع التقليدى يعتقد أنّ المرأة المثالية هي التي تعمل في المنزل وتقوم بوظائفها الزوجية. أثارت انتباهنا مفردات تكون أكثر شيوعاً في لغة النساء حسب الأمثال في اللهجة المصرية وهي مفردة الرجل والزوج حيث تتواتر ٢٤ مرّة، نحو: «حطى جوزك فوق السطوح إن كان فيه خير ما يروح» (شعلان، ٢٠٠٣م: ١/٢٥٣)، جوز يعنى الزوج في اللهجة المصرية وتقول المرأة المصرية هذا المثل نصيحة وتوصية لزميلتها أو صاحبها التي تشتكى من سوء أخلاق زوجها

والمعنى الآ تهتمى بذلك فإذا كان الزوج على خلق ويحافظ على كيان البيت فإنه لن ينحرف وسوف يبقى على العلاقات الأسرية أمّا إذا كان سيئاً فلافائدة من إصلاح حاله. المثل الآخر: «اللى جوزها يحبها الشمس تطلع لها» (نفس المصدر: ١٢٨)، المثل يعبر عن اعتراف المرأة بأنّ التي يحبها زوجها تتميز بالحظّ الوافر. المرأة المصرية إمّا ناجحة وإمّا فاشلة؛ حبّ الرجل إياها كما يتجلّى اعتراف المرأة نفسها به فى هذا المثل والحياة الزوجية والقيام بوظائفها هى التى تبين نجاحها أو فشلها وتعتبر كميّار لتقييم مدى فوزها. تتمسك بمثالين آخرين منتقنين من الأمثال الواردة فى الكتاب المذكور سابقاً كالشواهد الدالّة على إتيان المرأة مفردة الزوج أو الرجل فى كلامها. -«ظّل راجل ولا ظلّ حيط» (نفس المصدر: ٣٥١)، الراجل يعنى الرجل فى اللهجة المصرية فنلاحظ فى هذا المثل أنّ المرأة تعترف بضرورة حضور الرجل فى حياتها. كما تعترف فى المثل الآتى: -«الراجل مايعيبه إلاّ جيبه» (نفس المصدر: ٢٨٤) بأنّ الرجل لا يملك نقصاً إلاّ فقدان تقوده.

من الكلمات أكثر شيوعاً فى كلام المرأة المصرية هى كلمات "ابن" و"ابنة" و"بنات" و"صبيان". من الواضح أنّ اتجاه المرأة إلى استخدام هذه المفردات فى كلامها لا يرتبط بشعورها الذاتى والفظرى قبال أولادها فحسب بل يرتبط بهويتها التى يحددها المجتمع لها. لوضوح الأمر يمكننا أن نقارن حياة المرأة فى المجتمع الغربى وغيره، حيث أنّ الحياة فى هذا المجتمع حديث بيد أنّها فى المجتمعات الأخرى خاصّة فى المجتمع الشرقى والأفريقى تقليدى. المرأة المصرية تتولّى أكثر مسؤوليات أمور المنزل فنلاحظ أنّها تتمنى أن تنجب الصبية قبل الصبى لأنّ البنت تساعد فى أمور المنزل «اللى يسعدها زمانها تجيب بناتها قبل صبيانها». (نفس المصدر: ١٥٦) المثل الآخر الذى تنعكس أمومة المرأة المصرية عليه هو: «أدعى على ابني وقلبي يقول بعيد الشر» (نفس المصدر: ٩٠)، تقول هذا الكلام الأمّ التى يضايقها ابنها وهى تدعو عليه ولكنّ لحنان قلب الأمّ فإنّها تكره من يساعدها فى الدعاء. المثل الآخر: «جوز البنية أغلى من نور عيني» (نفس المصدر: ٢٣٦) تقوله الحماة امتداحاً لزوج ابنتها الذى يسعد ابنتها، لذلك هو عزيز عندها كنور عيناها بل أغلى منها.

ب. الميزات اللغوية للنساء في الأمثال حسب دراسات مؤلّفي هذا المقال
 قمنا في القسم الثاني من البحث بإحصائية ما يتواتر من ميزات لغوية للنساء
 المصرية حسب دراساتنا التي لم تذكر في نظرية التسلط أو كانت متناقضة ومخالفة لما
 وصفته لاكوف كالميزات اللغوية المختصّة بالنساء. فنأتى بالجدول التالي لبيانات ما
 عثرنا عليها كخصائص لغوية للنساء المصرية المتجلىّة في أمثال كتاب أحمد شعلان.
 الرقم ٢: الميزات اللغوية للنساء في الأمثال حسب دراسات مؤلّفي هذا المقال

عدد التواتر	الأساليب	الميزات اللغوية للنساء
٢٨	استخدام الشتائم والمفردات المقذعة	عدم اتجاه المرأة إلى استخدام كلمات أو أسلوب أكثر تأدّباً
٣	النهى	
١٢	الأمر	
١٨	ضمير المتكلم وحده	استخدام اللغة التمثيلية
٧٠	الكلام الموزون	

– عدم اتجاه المرأة إلى استخدام كلمات أو أسلوب أكثر تأدّباً
 صاحبة نظرية التسلط "روبين لاكوف" تميل إلى إثبات أنّ المرأة تكثر من أساليب
 التأدّب والاعتذار؛ لذا تشييع على لسانها عبارات، نحو: إنه يؤسّفى أن أقول، من غير
 مؤاخذه، آسفة، أرجو التكرّم بالحديث و... المرأة تتّجه إلى أن تطلب ما تريد في
 أساليب الرجاء والتمنى وهي تتجنّب عن استخدام أساليب الصراحة والمباشرة في
 طلبها. (إبراهيمي وآخرون، ١٣٩٧ش: ١٩٢)

ما يستقطب الانتباه هو أنّنا حصلنا على خلاف ما ذهبت إليه لاكوف أنّ المرأة تتّجه
 إلى استخدام أسلوب أكثر تأدّباً. عدد تواتر بياناتنا وفق الجدول السابق يبين أنّ المفردات
 التي تدلّ على الشتائم والمفاهيم السيئة تصل إلى ٢٨ واستخدامها أسلوب الأمر يبلغ
 ١٢ وأسلوب النهى يبلغ ٣. لإثبات ما حصلنا عليه يمكننا أن نتمسك بالأمثال الآتية.
 في المثل: «الوشّ قد البنينة والقَدّ قدّ الجنية» (شعلان، ٢٠٠٣م: ١ / ٥٣٢) تستهزئ
 المرأة بصاحبة الوجه الصغير والرأس الكبير فنرى كيف هي تستخدم العبارة الصريحة
 والمباشرة لبيان استهزائها. يبدو أنّ قمة ما نريد اثباته تتجلى في مثلين تالين: «ناس

قحبها في السوق وناس قحبها في الصندوق» (نفس المصدر: ٥١٢) و«القحبة بقحبته
والحرّة إيش نصيبها» (نفس المصدر: ٤٥٠) نلاحظ أنّ المرأة لاتستحيى من استخدام
مفردة "القحبة" وهي تدخل مباشرة في بيان آرائها ولايمنعها شىء من الصراحة في
الكلام. وهذا خير دليل على أنّ المرأة قد تلوّن كلامها بكلام الرجل وتستخدم المفردات
السيئة في المفاهيم وأساليب الصراحة والمباشرة في طلبها كما نراها في المثل هذا:
اتوصّوا بيعضكوا جات الغرب داهية (نفس المصدر: ٨٤)؛ تقوله الأمّ لأولادها أى
عليكم أن تساعدوا بعضكم بضعاً وأن تقفوا بجانب بعضكم فى الشدّة أمّا الأعراب
فلا يصلحون أن يساعدوكم فى وقت الشدّة والمحنة. الجدير بالذكر أنّ أكثر أسلوبى
الأمر والنهى عند المرأة تدلّ على التوصية والإرشاد فمن الممكن القول إنّ أسلوبى
الأمر والنهى يخفّفان من أدبية الكلام ويحملان دلالة الصراحة والمباشرة فى الطلب إن
تقارنهما مع أسلوب التمنى والرجاء. المرأة تفضّل أن تعبّر عن طلباتها بأسلوب التمنى
والرجاء كما تقوله "لاكوف" صاحبة نظرية التسلّط بيد أنّ الأمثال المدروسة عندنا تثبت
خلاف ذلك؛ بعبارة أخرى المرأة المصرية تبين توصياتها وإرشاداتها بأسلوب الأمر
والنهى كأنها تريد أن تعطى رسالة إلى المخاطب أنّ توصياتها كقوانين الحياة وعليه
أن يطبّق ما قالته فى حياته. بين أيدينا أمثال عديدة تبين أنّ المرأة فى مقام التوصية
والإرشاد تميل إلى استخدام الأمر والنهى فى كلامها، نحو: «إجرى يا خايبة للغايبة»
(نفس المصدر: ٨٥) و«البسى خفّ واقلعى خفّ لما يجى خفّ يناسبك» (نفس المصدر:
١١٥) «وماتدّينى ولدى تحت خُلقي.» (نفس المصدر: ٤٥٨)

«إجرى يا خايبة للغايبة» (نفس المصدر: ٨٥) تقول ذلك الأمّ لابنتها عندما تكون
لها ضرّة أو سلفة أو حماة حتّى لاتواجه استغلالهنّ حيث تسعى وتكفح بيد أنّ نتيجة
سعيها تسجّل لأسماء اللذين يستغلّون الفرص لمنفعتهم. يبدو أنّ استخدام فعل الأمر أو
النهى للدلالة على التوصية والتحذير ليس ضمن استخدام النساء فحسب بل يختصّ
بالرجال كذلك ولكنّ الشىء الذى يستقطب الانتباه أنّ استخدام النداء بشكل عام
فى السلوك اللغوى للمرأة يتناسب تناسباً أكثر مع تعبيرها عن حالة الحيبة والانهازم.
المرأة المصرية إمّا تتخذ موقف التوصية والإرشاد وإمّا تتخذ موقف خلق المشاكل

للآخرين أو تتشاجر وتتنازع معهم. من المواقف التي تأتي المرأة بفعل الأمر هي لما تكون في مقام التوصية والإرشاد. فرأينا أنّ المرأة تستخدم فعل الأمر لما تكون في مقام تحذير بنتها وتنبهها حسب ما تعلّمت من تجاربها.

- استخدام اللغة التمثيلية

يذهب أصحاب الحركة النسوية إلى قول إنّ الرجل يستعرض نفسه في كلامه شخصيّة متنافسة ومتحدّية وهو يعرف تفوّقه ومواهبه، حيث المرأة تأنف نفسها من التحدّي والتنافس وذلك لراحة التواصل مع الآخرين وتستخدم الألفاظ السهلة. (برهومة، ٢٠٠٢م: ١٣١ و ١٣٤) ما يثير الانتباه أنّنا بدراسة الأمثال حصلنا على نتائج جديدة كما ترون في الجدول السابق، وهي أنّ المرأة تستعمل اللغة التمثيلية كي تتحدّى وتتنافس مع الآخرين لتخفيف ما تعاني من قلة الانتباه إليها وهي تريد أن تجعل نفسها أمام أعين مخاطبيها وأن تستقطب انتباههم إليها. بعبارة واضحة؛ هي تبدّل لباس كلامها بلباس كلام الرجل وتمثّل دوره في تحدّيه وتنافسه.

الكلام الموزون واستخدام ضمير المتكلم وحده وتكراره هي من آليات اللغة التمثيلية التي تتمسك بها المرأة المصرية لإثبات نفسها وبيان تنافسها وتحديها مع من يهدّد حياتها الزوجية. الأسماء المسجوعة والتكرار من التراكيب الشكلية التي تزين المرأة المصرية لغتها بها وهي تأتي كثيراً ما بكلام موزون بالسجع وتكرار ضمير المتكلم وحده، نحو: «آدينى الحية لما أشوف اللى جية»؛ آدينى يعنى هذه أنا وتقول ذلك الزوجة لزوجها الذى يضربها ويسىء معاملتها ويهددها بالزواج من امرأة ثانية فتردّ عليه بهذا المثل لتشير إلى أنه سوف لا يجد مثلها فى النشاط والأدب وخدمة المنزل. (شعلان، ٢٠٠٣م: ٩٣/١) كما نلاحظ تطابق مفردتى "الحية" و"الجية" فى الوزن والقافية. والمثل الآخر: «أنا وحشة وأعجب نفسى وأشوف الحلوين تقرف نفسى»؛ تقوله ذلك المرأة التي توصف بالسوء ردّاً على اتهامات الناس لها. المثل يحمل أسلوب التحدّي والعناد، والمعنى أنّ كلّ إنسان راضٍ عن نفسه مهما كان عندها من عيوب. (نفس المصدر: ١٦٦) فرى كيف المرأة زينت كلامها بتكرار مفردة "نفس" وتكرار ضمير "ياء". المثل

الآخر هو: «ده عادتك واللى هتشتريها ده عادتي ومتقندلة فيها» (نفس المصدر: ٢٨٠)، هذا المثل يعبر عن حوار الحماة وزوجة الابن التي تتحدى الحماة وتقول لها أن هذه طبيعتى وأخلاقى السيئة وليس لدى غير ذلك. تكرار اسم الإشارة "ده" وتكرار الضمير فى مفردتى "عادتك" و"عادتي" أدى إلى أن يكون الكلام موزوناً. «الزرع أخضر والناس أخبر»؛ يقال هذا المثل بين النساء عند قيام المشاجرات ومعناه أن كل الناس تعرف "أنا مين وأنت مين" وتقول ذلك المرأة للافتخار بالأصل وفى التحدى مع النساء الأخرى. (نفس المصدر: ٢٩٧) مفردتا "أخضر" و"أخبر" متطابقان فى الوزن والقافية. والمثل: «مخدة بطيب ولا الريب» (نفس المصدر: ٤٧٧)؛ تقوله زوجة الأب لما تكره أبناء زوجها لأنها فى التنافس معهم فى اكتساب محبة الزوج وهى تريد أن تتفرد به لنفسها فحسب. كما نشاهد أن هناك التطابق بين مفردتى "الطيب" و"الريب" فى الوزن والقافية.

أما هناك أمثلة أخرى فتدل على أن المرأة فى مقام التحدى تلجأ إلى استخدام التراكيب الشكلية بالأخص السجع والتكرار فى كلامها، نحو: «طول عمرك يا خالة وإنت على دى الحالة» (نفس المصدر: ٣٤٦) و«طول عمرك يا ردة وإنت كده» (نفس المصدر: ٣٤٧) يعبران عن التنافس بين الحماة وزوجة الابن. فنرى تزيين الكلام بالسجع الموزون وتكرار ضمير "إنت". وفى المثل: «دى عوجة القرطة وإيدها فرطة»؛ المراد من "القرطة" منديل الرأس و"عوجة القرطة" تعنى سوء سلوك البنت لعدم احتشامها لأن الفتاة التى يميل منديل رأسها تبعث على الفور وتثير الغرائز. (نفس المصدر: ٢٨٢) هناك التطابق بين مفردات "عوجة" و"القرطة" و"فرطة" فى الوزن والقافية. «اللى بيجيب سيرتى يختار حيرتى» (نفس المصدر: ١٢٢)؛ هذا المثل تقوله المرأة المصرية لما تقع فى مشكلة وترى الناس يوجهون إليها الشتائم. من ثم تلجأ إلى استخدام الدعاء عليهم فى كلامها بأن يصابوا بما أصيبت به من هم وحيرة حتى تتنافس معهم بنوع ما وتخفف من ألم الشماتة التى تشعر بها. كما نلاحظ تحلى كلام المرأة بتكرار ضمير المتكلم للوحده واتفاق مفردتى "سيرتى" و"حيرتى" فى الوزن والقافية.

ما يستقطب انتباه المخاطب فى الأمثال مسبوقة الذكر أن لغة المرأة فى حالة التنافس

والتحدى تتحلّى بمجوهرات تكرر ضمير المتكلم وحده والأسماء المسجوعة وهى نوع من أنواع التراكيب الشكلية واللغة التمثيلية. المرأة فى مقام التنافس تحتاج إلى أن ترى شيئاً من أنانيتها للمخاطب وتثير إعجابه وأن تكون فى محور التفات الآخرين؛ من ثمّ استعمال الضمائر بالأخصّ ضمير "أنا" وتكرارها ثمّ تزيين الكلام بالمسجوعات هى خير سلاح يملك المرأة من الدفاع عن نفسها بكلامها.

تبعية المرأة للرجل لا تنحصر فى الاقتصاد أو الآراء بل تتعدى إلى تعلّقها به عاطفياً. المرأة المصرية شخصية متنافسة ومتحدية كما تبينها أمثال الكتاب. شدة الاهتمام بالحياة الزوجية واكتساب موافقة الزوج صنعت من المرأة المصرية شخصية لا بدّ أن تتنافس وتتسابق مع حمايتها أو ضررتها أو سلفتها لتخلق حياة مريحة ومقنعة ومتممة وممتعة لزوجها. الهدف والغاية من الحياة الزوجية هى اكتساب محبة الرجل وإقناعه لذلك أصبحت الحياة الزوجية كحلبة الصراع للمرأة حتى تنازع وتصارع مع من تخطّط أو تتحايل أن يخلق المشاكل لها أو يغتصب ويسلب قلب الرجل منها. الشخصية المتنافسة تجعل المرأة أن تتسلّح بالسلوك اللغوى الخاصّ لكى تراقب نفسها وحياتها من منافسيها. يبدو أنّ تواجد اللغة التمثيلية كضمير المتكلم وحده والكلام الموزون فى كلام المرأة المصرية هى أقوى سلاح لغوى تستخدمه فى التحدى مع منافسيها.

ج. الميزات السلبية والإيجابية للمرأة المصرية حسب مفاهيم الأمثال

بيانات القسم الثالث تختصّ بالميزات الإيجابية والسلبية للمرأة من خلال أقوال أصحاب المجتمع أو المفاهيم اللغوية التى استخدمتها المرأة نفسها فى لغتها. الجدول التالى يبين عدد تواتر كل ميزة سلبية أو إيجابية للمرأة حسب مفاهيم الأمثال.

الرقم ٣: عدد تواتر الميزات السلبية والإيجابية للمرأة المستخرجة من مفاهيم الأمثال

الميزات الإيجابية			الميزات السلبية		
التواتر	الميزة	العدد	التواتر	الميزة	العدد
٤٠	الاهتمام بالحياة الزوجية	١	٢٨	الشكاية	١
٢٣	الاهتمام بالجمال	٢	١٩	التنافس والتحدى	٢
١٤	العطوفة والمودة	٣	١٩	النزاع والتشاجر	٣
١٠	الولادة والإنجاب	٤	١٢	الإطاعة والتبعية للآخرين	٤
٩	الاهتمام بتربية البنات	٥	١٢	الفضول	٥
٦	التوصية والإرشاد	٦	١٠	الخلاعة والفجور	٦
٤	البناء وتنظيم الأسرة	٧	٨	التظاهر والعموض	٧
٤	الأصالة	٨	٨	العنوسة	٨
٢	الشرافة والعفة	٩	٨	الاتجاه نحو التقدير والخرافة	٩
٢	البلوغ الفكرى	١٠	٧	الضعف	١٠
٢	الثقة بالنفس	١١	٤	ضعف الفكر والرأى	١١
١	حلّ المشاكل	١٢	٤	البخل	١٢
١	النجاح	١٣	٢	الفضولية	١٣
١	البركة	١٤	٢	خلق المشاكل	١٤
١	الاقتصاد	١٥	٢	إساءة الظنّ	١٥
١	التجربة والمعرفة	١٦	٢	عدم الثقة بالنفس	١٦
			٢	الثروة	١٧
			١	الإسراف	١٨
			١	الغرور والتكبر	١٩

ما يقوله أصحاب المجتمع عن المرأة بشكل عامّ وكلام المرأة فى التعبير عن ذاتها وصفاتها بشكل خاصّ قد يبينان كيفية الهوية الثقافية والاجتماعية للمرأة فى المجتمع. يذهب "أورزولا شوى" إلى إثبات أنّ أكثر خصائص المرأة نحو: الميزات السلبية والميزات الإيجابية سببها اجتماعى. فالمرء لا يأتى إلى العالم امرأة بل العامل الاجتماعى والثقافى له دور بارز وعظيم فى خلق صفات المرأة والفروق بين الجنسين. (شوى، ١٩٩٥م: ١٤)

في كثير من اللغات نحو اللغة الفارسية، تظهر الأمثال المختصة بالنساء أنّ المرأة مظهر من مظاهر الجهل والعجز والتفشّي والفضولية و... . بعبارة أخرى تشكّلت ثقافة اللغة الفارسية بحيث تنتج النظرة السلبية إلى المرأة. (موسوى ديزكوهي، ١٣٧٤ش: ٣٤) لو نظرنا نظرة واثقة وواعية إلى الجدول المشار إليه سابقاً لرأينا أنّ المرأة المصرية حسب ما جاء في كتاب "أحمد شعلان" تسير بين شخصية القداسة والدناسة ولكنّ المثير للانتباه أنّ الميزة السلبية المنتسبة إلى المرأة المصرية أكثر تواتراً من الميزة الإيجابية.

تبعية المرأة للرجل اقتصادياً وفكرياً أو استقلاليتها قد تعتبر مؤشراً لتقييم كيفية الهوية الثقافية والاجتماعية للمرأة في المجتمع. (رضوانى، ١٣٩٩ش: ٧٩٦) تبعية المرأة للرجل كانت ظاهرة عالمية في الماضي بيد أنّها زالت أو خفّت في المجتمعات الحديثة إثر ما حدث من المساواة بين الرجل والمرأة في الكفة الاقتصادية. نظراً لما حدث من تغير اجتماعي في مجتمع مصر بصفة عامّة والمجتمع الريفي بصفة خاصّة وخروج المرأة من البيت للتعليم والعمل خارج المنزل والاشتغال في البلاد العربية النفطية وانتشار وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي فمن المتوقّع أن تنخفض نسبة تبعية المرأة للرجل اقتصادياً وفكرياً.

حسب ما سجّله كتاب "موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة" لـ إبراهيم أحمد شعلان "فمن الممكن الادّعاء أنّ هوية المرأة المصرية كانت هوية تابعة في الاقتصاد من الرجل. تعترف المرأة نفسها بعجزها ولزوم الرجل في حياتها واعتمادها عليه ودعمه وحمايته عنها. الأمثال تعبّر عن شدّة اهتمام المجتمع المصري بالرجل حيث يدفع المرأة إلى التعلّق بالرجل والسعي للحصول عليه والحرص على البقاء بجانبها.

النتيجة

بعد دراسة أمثال كتاب "موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة" لأحمد شعلان، بوصفها أمثالا منقولة من لغة المرأة أو قائلتها النساء من مختلف ثقافات مصر، توصلنا إلى النتائج التالية: لما تكون المرأة في مقام التوصية والإرشاد أو الحسرة

والاعتراف بالفشل والخيبة أو مقام الدعاء أو التمنى أو إقناع الآخرين أو بيان العجز تميل كثيرا ما إلى استخدام الأساليب الإنشائية فى سلوكها اللغوى. وفى حالة التعبير عن آرائها والتشاجر والنزاع تتجه إلى اختيار أسلوب الجملة الاسمية والخبرية وفى موقف التنافس والتحدى مع الآخرين تتسلح بتكرار الضمير واستخدام التراكيب الشكلية فى كلامها. الجدير بالذكر أن هذه النتائج لاتعمم على جميع الأمثال.

حسب تطبيق مؤشرات نظرية التسلط على الأمثال نستطيع القول إن اتجاه المرأة إلى استخدام أسلوب أقل حزما والتجنب عن الصراحة فى الكلام ميزة لغوية يفوق عدد تواترها عدد الميزات اللغوية الأخرى. مهما يكن من أمر فإننا حصلنا على نتائج تخالف ما حصلت عليها "لاكوف" صاحبة نظرية التسلط وهى أن اتجاه المرأة إلى استخدام مفردات تدل على تمييز الألوان تميزا دقيقا، لاتلاحظ فى الأمثال ومن جانب آخر أن المرأة تستخدم مفردات تدل على مفاهيم بشعة وسيئة فهى تتناقض مع ما أثبتته "لاكوف" أن المرأة تميل إلى استخدام أسلوب أكثر تأدبا فى كلامها مقارنة مع الرجل. استخدام المرأة اللغة التمثيلية كأنها شخصية متنافسة ومكافحة للحفاظ على حياتها الزوجية، هى من إحدى نتائج مهمة لهذا البحث التى لم تذكر فى نظرية التسلط فمن الممكن الادعاء أنها تجعل ضمن حصيلة هذا البحث.

مؤدى كل ذلك هو أن مسألة التسلط أمر نسبي يختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر. ومن جانب آخر يبدو أن الكفة الاجتماعية تساوت بين الرجل والمرأة فى المجتمعات الحديثة فإما زالت الاختلافات اللغوية بين الرجل والمرأة نتيجة لزوال تمايزات المكانة الاجتماعية بينهما وإما يسير المجتمع إلى مرحلة الاشتراكات اللغوية وإما يكون فى الخطوات الأولى من التغيرات اللغوية.

المصادر والمراجع

العربية

ابن جنى، أبو الفتح. (١٩٧٩م). اللمع فى العربية. التحقيق: حسين محمد أحمد شرف. بيروت: عالم الكتب.

الباقلانى، محمد بن الطيب. (١٩٥٤م). إعجاز القرآن. تحقيق: السيد أحمد صقر. القاهرة: دار المعارف.

البرهومة، عیسی. (۲۰۰۲م). اللغة والجنس؛ حفريات لغوية فی الذکورة والأنوثة. عمان: دار الشروق.
خرما، نايف. (۱۹۷۸م). أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة. الكويت: علم المعرفة.
الرویلی، میجان والبازغی، سعد. (۲۰۰۲م). دلیل الناقد الأدبی. ط ۳. المغرب: دار البیضاء.
سوالیة، نوریه. (۲۰۱۸م). «دور الأمثال الشعبیة فی التنشئة الاجتماعیة». مجلّة الناصریة للدراسات
الاجتماعیة والتاریخیة. المجلّد ۹. صص ۲۸۰-۳۰۱
شعلاّن، إبراهیم أحمد. (۲۰۰۳م)، موسوعة الأمثال الشعبیة المصریة والتعبیرات السائرة. ج ۱. القاهرة:
دار الآفاق العربیة.
شوی، أورزولا. (۱۹۸۲م). أصل الفروق بین الجنسین، الطبعة الأولى. القاهرة: دار الآفاق العربیة.
الجنسین. الترجمة: بوعلی یاسین. ط ۱. بیروت: دار التنویر.
عمر، أحمد مختار. (۱۹۹۷م). اللغة واختلاف الجنسین. القاهرة: عالم الکتب.
فوکو، میشیل. (۱۹۸۴م). نظام الخطاب، الترجمة: محمّد سبیللا. ط ۱. بیروت: دار التنویر.
لطفی، مصطفی. (۱۹۷۶م). اللغة فی إطارها الاجتماعی. ط ۱. بیروت: معهد الإنماء العربی.
هنّان، ایمان. (۲۰۲۰م). «السلوک اللغوی واختلاف الجنسین فی ضوء اللسانیات الاجتماعیة». مجلّة
الآداب واللغات. المجلّد ۶. العدد ۱۲. صص ۲۳۸-۲۵۰

الفارسیة

آذری، پروا. (۲۰۱۷م). «مشخصه های زبان و روایت زنانه در داستانهای نویسندگان زن». مجله
کتاب ماه ادبیات. شماره ۶۶. صص ۲۹-۳۸
ابراهیمی، ژینو و صابری، کورش و مرادخانی، شهاب. (۱۳۹۷ش). «بررسی ویژگیهای زبانی زنان
با توجه به متغیر سن بر اساس رویکرد لیکاف». مجله جستارهای زبانی. ش ۶. صص ۱۸۷-۲۱۲
آذری، پروا. (۲۰۱۷م). «مشخصه های زبان و روایت زنانه در داستانهای نویسندگان زن». مجله
کتاب ماه ادبیات. شماره ۶۶. صص ۲۹-۳۸
ابراهیمی، ژینو و صابری، کورش و مرادخانی، شهاب. (۱۳۹۷ش). «بررسی ویژگیهای زبانی زنان
با توجه به متغیر سن بر اساس رویکرد لیکاف». مجله جستارهای زبانی. ش ۶. صص ۱۸۷-۲۱۲
رضوانی، وجیهه. (۱۳۹۹ش). «بازتاب فرهنگی هویت زنانه در ضرب المثلهاى زبان فارسی و
روسی». مجله پژوهشهای زبان شناختی در زبانهای خارجه. دوره ۱۰. شماره ۴. صص ۷۸۸-۷۹۹
فیاض، إبراهیم و رهبری، زهره. (۱۳۸۵ش). «صدای زنانه در ادبیات معاصر ایران». پژوهش زنان.
دوره ۴. شماره ۴. صص ۲۳-۵۰
موسوی دیزکوهی، هاشم. (۱۳۷۴ش). طنز در گیلان. پایان نامه کارشناسی ارشد. دانشکده علوم
اجتماعی. دانشگاه تهران.

نعمتی، آزاده. (۱۳۸۲ش). «تحليلی بر تفاوتهای زبانی زنان و مردان، تحقیقی در جامعه شناسی زبان». مجله دانشکده علوم انسانی دانشگاه سمنان. شماره ۵. صص ۹۲-۷۳

الإنجليزية

Lakoff, R. (1973). "Language and Woman's place" (Vol. 2). Language in Society.

Cameron, Deborah. (1998). The Feminist Critique of Language. London: Macmillan.